محمد الصابر

تَجَلّيات النَّورَس المحتملِ

على رقصة الفجر كانت عيوني ترسم ظلكْ
وكانت تخيط من النار يومكْ
تجوب العذابات يا من تداعى رصاصا
وهز خيام الأقاويل كانت تسحّ مرارتها وتغيب
فتنسخني نظراتُك طفلا تموت أصابعه عنوة بيد أني
كنت أغضُّ المسامِع أطفو
أنا مَا رَأيتُ مثيلَكَ في ظُهر غدرهْ

هي الفلوات ترشح عاشقها خائنا للصباحاتِ مَنْ يَزْعُمُ
اليوم أنَّ القتالَ سجالْ
ومن يزعُمُ الريحَ لا تستكينُ إلى شَمعةٍ ذابلٍ ضوؤها
لو تمرُّ اللحى تستعير ليونتك الضّاريَهْ
أو يشيخ على بغتةٍ لونها الحلو كنتُ أغضُّ الـ
مسامِعَ ثانيةً
عَلّني من ضفَاف شرودك جئتُ
تَهالكتَ فوقَ نميمتِك المشتهاةِ :
أما للنوى منتهى يـا رفيـقي
تنبه تكن في ظلال المساحيقِ نمتَ
وأحرجتَ سنبلةً حينَ صحت حُروفي أيَنْعُ منكِ
فجاءَت فصول القطيعة رائعة في تماسُكِها
ورأيتُك تشهر ظَهرك في وجهِ هذا اللهيب الصقيع
فجربني اليأسُ :
قلت محالٌ تداعى النخيلُ وفي القَلْب
لليل وجه ووجه ووجهٌ

هي الفلوات ترشح عاشقها خائنا للصّباحاتِ
أي الرصاصاتِ هذي التي تنتمي لصفائك والوجه
يمخرُ فرحته الكاظمهْ
انْ يكن ظلمك العادِل شدني للوصال
فهذا حصاني قُلْ جاهزٌ لانتعال الليالي التي نصبتْك
غريباً

أحين تغيضُ السيوفُ وتنهمر الذكريات جفافاً
تسنبل هذا الشحوبُ على وجنتيك ؟
أنا الذي استرق الاسْم من مرفإ الليل عَمْداً
رأيتُ رأيتُ رأيتك تخرجُ من مرقص الحزن
تشدو تجاعيد صمتِك
أو تتوارى كما الطفلُ في لعبةٍ يتوارى
أنا يا الذي يتمرس بالحرف والقهوة الشاردهْ
إن تمرست بالعنف يخطفني من ضفاف الفرحْ
ما أزالُ سليلَ السكون فما رأيك لو تكونُ فصيلتنا واحدهْ
أم تكون مسامُك نائية كلما جئت مستعرضا مايةً للقصيْد ؟
هو الشعر كفارةٌ ليس إلا
ولكن تموت النعوت بمصل الحقيقهْ
فأروي انفعالاتِك للديار التي غادَرَتْكَ ولم تلتفتْ
عليها تَنتشي بالفراق
وكيفَ الكلامُ الاصمُّ يزمجرُ في كرياتي
وكيفَ يكونُ التلاقي
هي الفلوات ترشح عاشقها خائنا للصباحاتِ
من يمتطي جمرةً تسكن القلب صحت
ولكنهم أحرقوا نارها أيها البدوي المشاكِسُ
لا ترتق الدمْعَ قبل انبجاس اللهيب استفق شارةُ الـ
وَصل آتيةٌ ها لخطوتها نغمةُ الـ
متقَارب أو نكهةُ الطعن في الأصدقاءْ
هو الوطنُ الممدد في تجاعيدهْ
يحولني بكائيةً
ويعلنني فأعلنهْ
أمد إلى مفاتنهِ المصادرة انفعالاتي
أغادرهْ وفي الشفتين خاتمةٌ لكل نوىً
ويضبطني أدخنه فيقرأني
يقول الريحُ آتية تعال نمر من جهة يسار القَلْبُ

أجاوبه لتكهنك **مذاق الصر**
فخدني من علانيتي وا سحب مفاتنك فتحرقني برودتك
وأظفرك حقائق أو سنابل ممعن لونها في الفرار
وهل تشتهي الطين سمرته يا رفيقي ؟

* * * *

أكاد أخاطب فيك العيون وسارقةُ الصحو نائمةٌ
هل أجاهرك الليلَ سراً وأرحلُ في خرقتي
أم أغض مسامي عن زفراتِ المعامِل في وطن الفرحة
الداكِنَهْ
سرُ وخلِّ المناراتِ تذهبُ في حزنها / لا تكاشف
كذا علمتني العيونُ المسافرةُ في أقاصي الافق / لا تكاشفْ
كذا علَّمتني مدامِعُ هذا الخط المغربي
إذنْ لا تكاشف عيون الصغار بِها المارِدُ المتجلي
على أحرفٍ سبعةٍ لا تُكاشف

وحين نلوكُ الطريق التي قَطعتْنا

ونسْكبُ في رمشةٍ قصة الماء والنَّار
(حين تداعت شجونُ المساء)
عَرفنا المقابِل لكنْ تسابقتِ الطيرُ للهمْس :
هلْ يا صديقي تعيشُ الأفاعِيلُ في مقصفِ الكُليهْ
تنتشي بالكؤوس تطاير من قَاعها الصحوُ
ثُمَّ تلوذ بآخِر أغنيةٍ (رددتها الكراسي بعْد
انصراف الرفاق)
لك الويلُ انزلقَتْ ضحكتي الباكِيهْ يوم أنْ شدني
لانفكاكه

عمقُ أناشيدِك الباليهْ
فارتَويتْ جفافا
وعدنا... السلاسِلُ ما أخلفت وعدها
هل أواريك في مدمعي ريثما الجرحُ سواك فيثارَ
للسنابل والشاي والوشمةِ الشاردهْ
أمْ سيونك تخبو
تنبه فما للرجال سوى كلمةٍ واحِدهْ

وانتـ ـل وجهك البض كي تستفيق المناجمُ من صحوها
المتقاطر مثل المراسيم في بلدٍ حنكته
حِصي تزورُ المدرج تفهمنا مبحث
القيمة الفائضه

انتحل وجهك الحركي
ودمُك في رقبتي مايةٌ لا
تَحُط قبيل اندلاعِ الْـ
أصابع
هل يا صديقي تذوقت صهد الطريق
ونمتَ السنابلُ تذرو ريَاحَ البعادِ
وهذا الرمادُ المطفأ نثرني بلهيبهْ
فجئت أناغي المدينة ها سوقُهَا المركزيةُ
تقبَعُ في مقلتيها المرارةُ : لا تستكِنْ
للورود التي رَحبتْ بالخطى تنتشي
بالمواعدِ قربَ المحطَّهْ
أنا يا الذي رددته الوجوه علانيةً مستساغُ الخُطى
والجبيـن
وساكِنةٌ هي كلُّ العذابات في أضْلُعي
هل تظنُّ النوى عسكرَتْ خيلُه في عُيوني
فباعَدْتُ ما بينَ خَفْقِي وَدَمِّي
أمِ الحُزْنُ يومَ دَجَا في العروقِ
تباينت
حدّثْ إذنْ وانتبهْ :
إنَّني دَائماً ساكِنٌ في يقيني

البيضاء ـ الرباط، نونبر ـ دجنبر 1980